مجلة الجامعة الأسمرية

المجلد (--) العدد -- (-- ---)

السفارة في صدر الاسلام والخلافة الراشدة

زهرة إبراهيم الضاوي

قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية

ibzahara59@gmail

الملخص

هدف البحث إلى التعرف على أهم صفات سفراء عصر صدر الإسلام، والدور الذي قاموا به، وأهداف السفارة في الإسلام، واستخدم لتحقيق ذلك المنهج التاريخي، ومن أهم نتائجه أن المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يختارون سفراء هم من بين أفضل الشخصيات ذات المنزلة الرفيعة والمشهورة بالذكاء والفطنة والبلاغة ورجاحة العقل والحصافة في الكلام مما جعلهم أهلاً لهذه المهمة الصعبة، وكان السفير يتكلم باسم رئيس الدولة ويفاوض ويبرم العقود والمعاهدات نيابة عنه، وبذلك تبين خطأ أولئك الذين يفترون على النظام السياسي الاسلامي عن كونه نظاما قاصراً ولا يرقى إلى مستوى تنظيم الأسس التي تقوم عليها الدولة، وانتهى البحث إلى إثبات أن الدولة الإسلامية منذ قيامها دولة غير منعزلة عن غيرها وتهدف إلى التعايش مع الآخر من خلال مبادئ الإسلام بالطرق السليمة وهذا يبين تألق الدولة الإسلامية منذ نشأتها.

الكلمات المفتاحية: السفارة، تاريخ صدر الإسلام، الخلافة الراشدة

مقدمة

يقول الله تعالى **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))** انطلاقا من هذه الآية الكريمة كانت فكرة هذا البحث الذي بعنوان السفارة في عصر صدر الإسلام، وذلك لما للسفراء من دور وأثر كبير في حياة الشعوب والدول وتقدمها ولذلك فإن هذا البحث يهدف إلى دراسة ما يتعلق بالسفارة والسفراء وتتبع دورهم التاريخي أثناء الفترة التاريخية المحددة للدراسة، وذلك من خلال جمع وتحرير بعض الأمور والمعلومات المتناثرة والمتعلقة بالسفارة للاطلاع أكثر وللاستفادة مما مضي بما يخدم الحاضر.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه محاولة القاء نظرة عامة على السفارة خلال عصر صدر الإسلام وتكمن أهمية البحث بشكل خاص في تتبع دور السفراء خلال هذا العصر وإبراز مدى أثرهم في نشر الإسلام وتطور الدولة الإسلامية الناشئة.

وكانت إشكالية هذا البحث هي الإجابة على التساؤلات التالية:

1. ما المقصود بالسفارة لغةً واصطلاحاً؟
2. ما طبيعة السفارة عند الشعوب القديمة؟
3. كيف كانت طبيعة السفارة في العصر الجاهلي؟
4. ما الدور الذي قام به السفراء خلال عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين؟

5. ما أهم صفات سفراء عصر صدر الإسلام؟
6. ما أهداف السفارة الاسلامية؟

أما عن محتويات هذا البحث فيشمل ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التطور التاريخي للسفارة قبل الإسلام

المطلب الأول: التعريف بالسفارة لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: السفارة في العصر الجاهلي

المبحث الثاني: صفات السفراء وأهدافهم

المطلب الأول: صفات السفراء

المطلب الثاني: أهداف السفارة

المبحث الثالث: السفارة في عصر النبوة والخلفاء الراشدين

المطلب الأول: السفارة في عهد النبي صلي الله عليه وسلم

المطلب الثاني: السفارة في عصر الراشدين(11-40هـ/632-651م)

المبحث الأول: التطور التاريخي للسفارة قبل الإسلام

المطلب الأول: التعريف بالسفارة لغة واصطلاحاً

السفير لغةً: هو الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء، وقد سفر بينهم يسفر سفراً وسفارة و سَفارة أي أصلح[1]، وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه (أن الناس استسفرونى بينك وبينهم) أي جعلوني سفيراً وهو الرسول المصلح بين القوم ، يقال سفرت بين القوم أي سعيت بينهم في الإصلاح[2].

[1] الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ,مختار الصحاح, دار مكتبة الهلال , بيروت ,لبنان ((د.ط)),1988م

[2] ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد , لسان العرب, حـ 4 , ط1 ,1410هـ,ص370

والسفارة أخذت معناها من السفير الدال على معنى الإصلاح بين الناس[1]، وأصلها في اللغة الإصلاح وتعني التوجه إلى القوم للقيام بينهم بالصلح على وجه التحديد وتطلق السفارة أيضاً على مقام السفير، أي الدار التي يقيم فيها ، وتجمع على سفرات[2].

والسفارة اصطلاحاً: بعث ولي الأمر لشخص معتمد من قبله إلى جهة معينة لمباشرة مهمة معينة[3].ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن هناك مرادفات أو مصطلحات تتصل بالسفير أو السفارة وتستعمل بمعنى واحد وتؤدي غرضاً واحداً والفروق بينها طفيفة، وهي الرسول والموفد والمبعوث كما أنها مصطلحات عربية أصيلة وهي تؤدي معنى الكلمة الدارجة في عصرنا وهي كلمة الدبلوماسية، التي دخلت لغتنا العربية حديثاً تأثراً بالمصطلحات الأجنبية[4].

المطلب الثاني :السفارة في العصر الجاهلي

مارست المجتمعات القديمة السفارة منذ القدم وعرف بها الصينيون والهنود القدماء والفراعنة، وقد ذكر لنا القران الكريم بعض صور السفارة القديمة فيما حكاه عن النبي سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ[5] ، وكانت السفارة ناشطة في العصور القديمة وكانت تنفذ لخدمة السياسة

---

(1) القلقشندي, أبو العباس أحمد بن علي , صبح الأعشى في صناعة الإنشا, ج6 , وزارة الثقافة والإرشاد , مصر (د ط), (د ت), ص165

(2) ضميره , عثمان جمعة, السفارة والسفراء في الإسلام ,(د ك), (د ط), (د ت), ص 27 ,

نجم, جمال أحمد جميل , أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي , نابلس , فلسطين, (د ط),2008م, ص11

(٣)القلقشندي, المرجع السابق,ج6 ,ص165

(4) ضميره, المرجع السابق,ص37

5() وذلك عبر(الهدهد) الرسول السفير السريع الذي حمل رسالة فيها أوجز العبارات وأجزل المعاني وقال تعالى في كتابه العزيز ((اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ،إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ,)) ثم قال عن الملكة بلقيس ((وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ.)) (القران الكريم, سورة النمل, الآيات35.28)...

الخارجيـة التـي يحـدد أهـدافها الأبـاطرة والملـوك، كمـا أن جميـع المشـكلات تحـل بـالحرب أو بالسـلم ضـمن اتفـاق أو تعاهـد يجـري بعـد تفـاوض عـن طريـق مبعـوثين أو رسـل، فعرفـت مصـر الفرعونيـة هـذا النظـام وقامـت بإرسـال مبعوثيهـا إلـى الحثيـين وغيـرهم مـن الجماعـات لتحقيـق أغـراض شـتى مثـل عقـد المعاهـدات وعقـد المصـاهرات بـين أعضـاء البيـوت المالكـة، وذلـك كمـا تبـين مـن خـلال النقـوش وبعـض الوثـائق التـي تـم العثـور عليهـا[1]،وكـذلك كـان نظـام المبعـوثين أي السـفراء المعـروف فـي الهنـد القديمـة كمـا تـدل علـي ذلـك مجموعـة القـوانين التـي تسـمي قـوانين (مـانوا) التـي كانـت تهـدف إلـى تجنـب الحـرب وتعزيـز السـلام وتلقـي تبعـة المسـؤولية فـي النهـوض بهـذه الأهـداف علـى السـفراء[2]،كمـا توجـد شـواهد قديمـة تـدل علـى أن الصـينين اسـتخدموا فـي بعـض الأحـوال مبعـوثين فـي عهـود ترجـع إلـى القـرن الثالـث قبـل المـيلاد[3]، وازدهـرت العلاقـات الدوليـة بـين المـدن اليونانيـة فقامـت بإيفـاد الرسـل والسـفراء فيمـا بينهـا، وكـان يطلـق علـيهم اسـم الرسـل ولكـن ولأن العلاقـات العدائيـة كانـت هـي السـائدة فترتـب علـى ذلـك أن تكـون السـفارات مؤقتـة، واسـتناداً إلـى أوامـر الـدين عنـدهم تعتبـر ذات السـفير مقدسـة لا تمـس[4]، وبعـد أن أفلـت القـوة اليونانيـة وورثتهـا رومـا حرصـت هـي الأخـرى علـى أن تقـيم علاقـات مـع جيرانهـا إمـا عـن طريـق القـوة أو عـن طريـق السـلم والتعـاون، وقـد تبادلـت معهـم المبعـوثين أو السـفراء وكـان مجلـس الشـيوخ هـو الـذي يختـار السـفراء و المبعـوثين[5]،كمـا

(1) النبراوي, فتحية, تطور العلاقات السياسية الدولية, مطبعة الإسكندرية, القاهرة,(د ط), 1984,ص23

(2) ضميره , المرجع السابق, ص49

(3) المرجع نفسه, ص59

(4) المرجع نفسه, ص50

(5) النبراوي , المرجع السابق, ص23

عـرف الفـرس السـفارة وكـانوا لا يحترمـون الرسـل الـذين يـأتون إلـيهم ويعـاملونهم معاملـة سـيئة كمـا أنهـم لا يثقـون برسـلهم وكـانوا يتبعـونهم بجواسيس يتجسسون عليهم[1]

أمـا فـي العصـر الجـاهلي فقـد كانـت لطبيعـة الحيـاة التـي عاشـها عـرب الجاهليـة أثـرا مهمـا فـي نشـأة السـفارة وعلـو مقامهـا، حيـث اتسـمت حيـاتهم خـلال هـذا العصـر بالفوضـى والاضـطراب وكثـرة الحـروب، وقـد تضـافرت عوامـل عديـدة وراء ذلـك لتـدفع بـالحرب إلـى أرض العـرب فكثـرت الأيـام والوقـائع، وكـذلك غيـاب الشـعور القـومي الجـامع، واقتضـت طبيعـة الحيـاة هـذه أن ينشـط السـفراء وتتنـوع مجـالات سـعيهم وكـان للسـفراء أثـر مهـم فـي حياة الجزيرة العربية.

كـان السـفراء يمثلـون قبـائلهم فـي مناسـبات عديـدة مثـل تـولى زعـيم جديـد للسـلطة أو تتـويج أو وفـاة آخـر، وكـذلك فـي عقـد الاجتماعـات مـع القبائـل لبحـث عـدة شـؤون كالصـيد والأعيـاد والشـعائر الدينيـة، وكـان الهـدف مـن وراء إرسـال السـفراء تطـوير العلاقـات الوديـة ونبـذ الحـروب وإيقـاف النزاعات والدعوة إلى الصلح وإرساء دعائهم السلام.

كمـا كـان للسـفراء دور فـي تـأمين الطـرق التجاريـة البريـة والبحريـة وفـي الاتفاقـات التـي عقـدت بعـد الحـروب سـواء بـين العـرب أنفسـهم أو بـين العـرب والأقـوام الأخـرى كـالروم والفـرس ومـن أشـهر تلـك الأحـلاف ، حلـف الفضـول[2]وحلـف المطيبـين، ومما يـذكر فـي هـذا الإطـار أن السـفارة فـي مكـة عرفـت كوظيفـة إداريـة (لبنـي عـدي) قـوم عمـر بـن الخطـاب رضـي الله

[1] ضميره, المرجع السابق, ص52

[2] حلف الفضول: كانت القبائل العربية في العصر الجاهلي تعقد حلفا لنصرة المظلوم إذا ظلم، وهو عقد لحماية زائري مكة والحجاج إليها ينظر: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل, البداية والنهاية, ج1, بيروت, لبنان,(د ط),1966, ص262

عنه، وكان عمر آخر سفرائها إلى القبائل الأخرى، فكان أهل مكة إذا أرادو أن يبعثوا سفيراً بعثوا عمر بن الخطاب وقبلوا بسفارته في حالة السلم أو الحرب، وكانت هذه المهمة تحتاج إلى فطنة خاصة ومعرفة بالقبائل وأوضاعها وأنسابها فكانوا يبعثونه منافراً ومفاخراً ورضوا به[1]، وقد كان للسفارة فضل كبير على العرب في العصر الجاهلي تمثل في عدة أغراض منها ما يلي:

1. **تعزيز القبيلة:**

لقد وقف السفراء يبينون ما يراه قومهم حقا ويدفعون ما يرونه جوراً من خصمهم وتعدياً، فقد كان الحارث بن حلزة الشاعر سفير بكر إلى ابن هند الملك اللخمي، في خصومتها مع تغلب للدفاع عن حياة مائة رهينة من بكر كانت في يد عمرو بن هند، وأنشد الحارث فيها معلقته التي رفع فيها صوت العقل ودفع عن قومه الشر فحكم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث لرهائن تغلب ودفع رهائن بكر إلى الحارث بن حلزة [٢].

ولم يقصر السفراء سعيهم خارج قبائلهم أو بطون عشائرهم دعاة صلح أو سعاة حلف، بل سعوا حتى في داخل قومهم يُقيمون ميلهم ويزجرونهم عن الغدر والظلم، ويدعونهم إلى الوفاء بالعهد والعقد ويسعون في رشدهم عند قصر حلومهم، ولقد عرف نابغة بني ذبيان بالحزم ورجاحة

---

[1] ابن الأثير, عز الدين أبو الحسن علي بن محمد عبد الكريم الجزري, الكامل في التاريخ, ج2,دار الكتاب العربي, بيروت,(د ط),1967م,ص81

(٢) المصدر نفسه, ص81.

العقل وصدق النظر مما جعل منه ناصحاً ومرشداً لقبيلته فضلا عن كونه سفيرها وشفيعها عند الغساسنة، وقد تمكن بحسن سياسته ومهارته من انتزاع قومه من معارك لا فائدة لهم فيها وجنبهم الغدر بالحلفاء والوقوع في مصائد الأعداء[1].

2. **فداء الأسرى:**

خرج سفراء القبائل ووجوهها على سادة القبائل وملوكها يسعون لفداء أسراهم وسباياهم، وقد كان المال وسيلة لافتداء الأسرى ولكن لأن العرب عرفت بفصاحتها وسحر بيانها، لذا فقد فعل الحديث الساحر والكلام الطيب في نفوسهم فعل السحر، وقد حدث متمم بن نويرة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال (أسرتني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكاً، فجاء ليفديني، فلما راه القوم أعجبهم، وحدثهم فأعجبهم حديثه فأطلقوني له بغير فداء(٢)،يتضح مما سبق مدى الدور الكبير والهام الذي قام به السفراء العرب في فك أسرى قبائلهم .

ولأن العربي أحب المديح وخشي الهجاء فقد اتخذ الشعراء السفراء من المديح طريقاً لفك الأسرى من ذُل الأسر وقيوده، وقد سفر علقمه بن عبده التميمي الشاعر على الحارث الأعرج الغساني في أخيه شاس وسبعين أسيرا من تميم وقعوا في الأسر فأطلق الحارث أسرهم(٣)، وغيرها كثير من السفارات المماثلة.

3. السعي في السلم :

سعى السفراء إلى إقرار الأمن بين القبائل فتحدثوا عن الحرب ووصفوا بشاعتها ودعوا إلى اجتنابها ووصفوا مر ثمارها وشؤم نتائجها فقد دعا دريد بن الصمة في سفارته بين حيين من سليم أن يتعظا

بحروب ربيعه وغطفان[1]، ويتضح مما تقدم أنه كان للسفراء فضل كبير في حياة القبائل العربية قبل الإسلام، كما تعددت أغراض سفارتهم وقد تميز هؤلاء السفراء برجاحة عقولهم وسلامة منطقهم مما جعلهم ينطقون بالحكمة العملية.

المبحث الثاني: صفات السفراء وأهدافهم

المطلب الاول: صفات السفراء

عمد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده إلى مراعاة عدة صفات فيمن يختارونهم للقيام بالسفارة، وقد كان من أول هذه الصفات الكفاءة، ويراد بها معرفة أصول العلاقات الدولية في زمن الحرب والسلم، وكذلك الاتصاف بالعلم والمعرفة، والثقافة العامة والذكاء والنباهة، وشدة التيقظ واغتنام الفرص لتحقيق أهدافه، وقد تجلت تلك الأوصاف في جعفر بن أبي طالب حال مناظرته عمرو بن العاص قبل إسلامه لدى النجاشي ملك الحبشة، حيث أراد عمرو مبعوث قريش الإيقاع بجعفر لكن كفاءة جعفر رضي الله عنه وحنكته تصدت لكيد عمرو وأبطلت تحريضه على الإسلام والمسلمين في شأن عيسي بن مريم عليه السلام[2].

كما كان من الصفات التي راعاها النبي صلي الله عليه وسلم والخلفاء من بعده في السفراء حسن الصورة والهيئة والفصاحة وحسن

[1] ابن الأثير, المصدر السابق , ج2 ,ص415 وما بعدها .
[2] ابن سعد, المصدر السابق,ج8,ص345

البيان، لأن ذلك أول ما يقع عليه النظر وبه يتأثر العامة والخاصة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي توفر حسن الصورة والهيئة في سفرائه ومن ذلك اختياره دحية بن خليفة الكلبي سفيره إلى قيصر ملك الروم، فقد كان وسيما متكامل الخلق من أجمل الناس هيئة وصورة وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلي الله عليه وسلم في صورته[1]، وكذلك كان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ممثل المسلمين عند ملك الحبشة جميل الصورة وحسن الشكل والهيئة ويشبه النبي صلى الله عليه وسلم خُلقاً وخَلقاً[2]، وكذلك نجد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يؤكد على الصفات الجسدية والعقلية التي ينبغي أن يتحلى بها السفير وذلك عندما كتب إليه القائد سعد بن أبي وقاص قبل المفاوضات بين المسلمين والفرس في معركة القادسية سنة(14هـ/635م) حينما طلب رستم قائد جيش الفرس رجالا من العرب لمفاوضتهم، أرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد قائلا ((وابعث إليه رجال من أهل المنظر والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم، وفلجًا عليهم[3]، ولذلك جمع سعد بن أبي وقاص رجالا لهم وقار وآراء ومنظر وعليهم مهابة، ولما سمع بذلك عمر رضي الله عنه قال (يؤذن لكم فيقدم أحسنكم اسما فإذا دخلتم قدموا أحسنكم وجها فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم[4])).

---

(1) الطبري, المصدر السابق, ج3,ص87

(2) المصدر نفسه,ج3, ص495

(3) ابن الأثير , الكامل في التاريخ, المصدر السابق,ج3 ,ص83

(4) ابن هشام, المصدر السابق,ج1,ص175

ومن أهم صفات السفراء خلال هذا العصر صدق السريرة وحسن الخلق، فمن أوكد واجبات السفير أن يؤمن إيماناً صادقا بنظام الدولة التي يمثلها وينتمي إليها ويعرض مبادئه وأفكاره من خلال تعامله الكريم وخلقه الحسن، وقد وُصف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سفير المسلمين إلى الحبشة بأنه أشبه الناس بالنبي صلي الله عليه وسلم خُلقاً وخَلقا، وكذلك عندما عرضت قريش على عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يعتمر ويطوف حول الكعبة وحده، دون المسلمين الذين جاء يفاوض عنهم أبى ذلك[1] ولاء لقيادته ووفاء لإيمانه وقيمة صدق سريرته، ويضاف إلى الصفات السابقة أيضا أنه ينبغي على السفير أن يكون على معرفة بالأحوال الاجتماعية والثقافية والمعيشية في الدولة الموفد إليها.

لقد كانت هذه من أهم وأبرز الصفات التي راعاها النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده في اختيار سفرائهم، وذلك لأن هؤلاء السفراء مفوضون للقيام بمهام عظيمة في مقدمتها التعريف بالإسلام ومبادئه وفضائله والدعوة إليه، وهذا واضح من خلال الرسائل التي حملها سفراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والحكام داخل الجزيرة وخارجها.

المطلب الثاني: أهداف السفارة الإسلامية

تهدف السفارة في الإسلام إلى توثيق العلاقات وتبادل المصالح وقبل كل شيء إلى نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الإسلام، ومن تلك الأهداف ما يلي:

[1] المبارك كفوري, صفي الرحمن ، الرحيق المختوم، دار الوفاء مصر، ط٢٠ ،٢٠٠٩،ص١٤٠

1. التعريف بالإسلام ومبادئه وفضائله: وهذا واضح في الرسائل التي حملها سفراء النبي إلى الملوك والحكام في داخل الجزيرة العربية وخارجها، فقد جاء في رسالته صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم (من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ....، قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله)[1].

2. حل الخلافات والنزاعات بالطرق السلمية: ويتجلى ذلك في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى قريش ليطلعهم على حقيقة قدومه، وأنه يريد العمرة ولا يريد الحرب وهو مستعد للتفاهم إن أرادت قريش ذلك، وقد كان له ما أراد فأرسلت قريش سهيل بن عمرو إليه فاتفقا على صلح الحديبية كما هو معروف[2].

3. تنمية العلاقات الإنسانية: تهدف السفارة في الإسلام إلى تكوين علاقات إنسانية بين المسلمين وغيرهم، وتنمية هذه العلاقات بالوسائل المشروعة، والتواصل الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي والعلمي والفني، ويشهد لذلك اختلاط المسلمين بقريش بعد صلح الحديبية وتبادلهم معها المصالح الاقتصادية والمعيشية والمعارف الثقافية فضلا عن توثيق العلاقات الاجتماعية[3].

---

(1) المبارك كفوري ، المرجع السابق ،ص٣٠١

(٢) المرجع نفسه، ص301

(٣)لمرجع نفسه ,ص301

4. تحقيق الاعتراف المتبادل بين الدولة الإسلامية بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيرها من الدول ، ويظهر ذلك من خلال سفاراته صلى الله عليه وسلم إلى الدول القائمة في زمانه فقد خاطب زعماء تلك الدول بما هم عليه من الرئاسة والتسلط على أقوامهم فخاطب هرقل بعظيم الروم، وكذلك المقوقس بعظيم القبط، وكذلك كسرى بعظيم فارس، كل هذا يدل على اعتراف من النبي صلى الله عليه وسلم بحقيقة قائمة في زمانه، وكانت سفاراته إليهم دليلا على هذا الاعتراف، وقد حصل النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذه السفارات على ما أراده، فقد اعترفت الروم وكذلك دولة القبط بدولة الإسلام الفتية بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم فبمجرد بعث السفير ثم قبوله في الدولة المبعوث إليها يعد دليلا على هذا الاعتراف وإن لم يصرح به[1].

5. عقد العهود وإجراء الصلح وهي: أهم مقاصد وأهداف السفارة الإسلامية، بدليل فعل النبي صلى الله عليه وسلم في سفارته لأهل قريش قبيل صلح الحديبية وفي سفارتهم له، الأمر الذي تمخض عنه عقد معاهدة صلح الحديبية وذلك بهدف تحقيق مبدأ التعايش مع الآخر من خلال إجراء الموادعة والمصالحة [2].

(١)المبار كفوري ، المرجع السابق ،ص'٣٠١)

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠١

المبحث الثالث: السفارة في عصر النبوة والخلفاء الراشدين

يبدأ عصر صدر الإسلام من انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية وتحديداً من بداية الهجرة وينتهي باستشهاد سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين.

المطلب الأول: السفارة في عهد النبي صلي الله عليه وسلم

لأن الإسلام دعوة للبشرية جمعاء فينبغي نشرها للعالمين وتبليغها لهم عقيدة ومنهج حياة، فكانت السفارة من الوسائل المهمة للقيام بهذا الواجب ، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم عندما بعث بمصعب ابن عمير القرشي أحد السابقين إلى الإسلام وصاحب الهجرتين سفيرا إلى المدينة يثرب ليعلم أهلها الإسلام ويقرئهم القرآن ويفقههم في الدين حتي ظهر الإسلام وانتشر في دُور الأنصار كلها؛ فلا عجب أن يلقب

بمصعب الخير[1] ، وبعد أن استقر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وكون الدولة الإسلامية بادر في السنة السادسة للهجرة وبعد عقد صلح الحديبية بإرسال السفراء إلى الملوك و الأمراء يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتباً حملها هؤلاء السفراء فكان أول سفير بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن أمية الضمري سنه 6هـ/627م إلى النجاشي ملك الحبشة فأسلم وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإجابته وتصديقه[2]، وكذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم في السنة نفسها دحية بن خليفة الكلبي[3] سفيراً إلى قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام فسأل قومه أن يتبعوا محمدًا صلى الله عليه وسلم فأبوا وخافهم على نفسه وملكه فلم يؤمن وأظهر أنه فعل ذلك اختبارًا لدينهم[4]، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن حذافة السهمي[5] سفيراً إلى كسرى الفرس وكتب معه كتاباً وهو الذي مزق الكتاب فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قال (اللهم مزق ملكه[6] وبعث النبي حاطب بن أبي بلتعة[7] سفيراً إلى المقوقس عظيم القبط بمصر يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً فقرأه وقال له خيراً وأكرم سفير النبي صلى الله عليه وسلم وبعث معه بهدية[8]، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً شجاع بن وهب

---

(1) المبارك كفوري, المرجع السابق ،ص١٤٠

(2) النجاشي: لقب ملوك الحبشة من النصارى, ينظر: الطبري, المصدر السابق,ج3,ص87

(3) ابن هشام, أبو محمد بن عبد الملك, السيرة النبوية , تح: محمد بيومي,ج4, مكتبة الإيمان المنصورة , مصر,(د ط) ,ص175

(4) المصدر نفسه, ص175

(5) ابن سعد محمد بن سعد , الطبقات الكبرى, تح: إحسان عباس,ج2, دار صادر , بيروت,(د ط), ص169.170

(6) المصدر نفسه, ص170

(7) ابن هشام, المصدر السابق,ج4,ص175

(8) المقوقس: لقب عرف به ملوك مصر قبل الإسلام من المسيحيين المصريين الأقباط, ينظر: ابن الأثير, عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري, أسد الغابة , تح: علي محمد معوض وآخرون, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ج1, ص38

الأسدي[1] سفيراً إلى الحارث الغساني وكتب معه كتاباً فلما قرأه الحارث رمى به، وقال من ينتزع ملكي؟ فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال باد ملكه[2] ، كما بعث النبي أيضاً سليط بن عمرو العامري[3] سفيراً إلى صاحب اليمامة[4]، وبعث جرير بن عبد الله البجلي سفيراً إلى ذي الكُلاع اليمني وغيرهم من عظماء ذلك الوقت[5] من العرب والعجم.

إن كل هذه السفارات على اختلاف وجهاتها كانت تدعو إلى جمع الناس إلى كلمة سواء من غير تميز بين عنصر وآخر أو إيثار هذا على ذاك، وقد كان لهذه السفارات أثرها في نشر الدعوة الإسلامية حيث استجاب عدد من المدعوين ودخلوا في الإسلام وكشفت عن مواقف آخرين من الدعوة، وهذا يحدد طبيعة علاقة الدولة الإسلامية بهم بعد ذلك.

ولم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم السفراء فقط؛ بل استقبل النبي صلي الله عليه وسلم السفراء أيضاً.

استقبال السفراء

يتمتع الرسل أو السفراء بالأمان إذا دخلوا دار الإسلام فلا يجوز الاعتداء عليهم ولا إهانتهم، فإن الرسل أو السفراء آمنون من الجانبين، هكذا جرى العرف في الجاهلية والإسلام، فإن أمر الصلح والقتال لا يلتئم إلا بالرسول أو السفير، ولابد أن يكون السفير آمناً ليتمكن من أداء الرسالة على وجهها، والدليل على هذا الأمان بمجرد كونه رسولا أو سفيرا، أن رسول مسيلمة الكذاب لما تكلم بين يدي النبي

---

[1] الطبري, المصدر السابق, ج3,ص28

[2] ابن هشام, المصدر السابق,ج1,ص99,ج5,ص195

[3] القلقشندي, المصدر السابق, ج6, ص379

[4] اليمامة: تقع غرب البحرين, شرق الحجاز , ينظر: الحموي, ياقوت, معجم البلدان,ج5,(د ط),(د ت) , ص74

[5] ابن هشام, المصدر السابق, ج1, ص99

صلى الله عليه وسلم بما لم يكن له التكلم به قال النبي صلى الله عليه وسلم ((أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك[1]))، ولهذا قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ((مضت السنة أن لا تقتل الرسل[2]))، ودليل ذلك أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لأبي سفيان بن حرب لما نقضت قريش الصلح الذي كان بينها وبين النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان وافد إليه من أهل مكة لتجديد الصلح فلم يتعرض له النبي صلى الله عليه وسلم لا بقتل ولا بغيره[3] لأنه من سنة السفراء ألا يُقتلوا، ويؤكد لنا ابن القيم هذا المعنى بقوله ((و كانت تقدم عليه رسل أعدائه، وهم على عداوته فلا يهيجهم ولا يقتلهم[4]))، ومن هذا يتبين أن السفير آمن؛ لأن مقصود الفريقين من الصلح والقتال لا يتم إلا بالرسل أو السفراء وما لم يكونوا آمنين لا يتمكنون من أداء الرسالة على وجهها فكانوا آمنين من غير شرط.

[1] ابن هشام، المصدر نفسه, ص139

(1) ابن هشام ، المصدر السابق ،ج١،ص١٥٣

[3] المبارك كفوري, المرجع السابق, ص299

[4] ابن قيم الجوزية, زاد المعاد في هدي خير العباد, تح: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط , مؤسسه الرسالة ,بيروت, لبنان,1991م,ص139

المطلب الثاني: السفارة في عصر الراشدين (40.11هـ/651.632م)

لقد سعى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى مهادنة الروم ومصالحتهم فأرسل سفارة إلى بلاد الشام ، وكان فيها هشام بن العاص الأموي وعُبادة بن الصامت الأنصاري ونعيم بن عبدالله، فاستقبلهم إمبراطور الروم وسلموه رسالة الخليفة[1].

كما تمتع القادة في هذا العصر بصلاحيات إرسال السفراء، وبهذا الصدد يُروى أن خالد بن الوليد أرسل سفارة إلى صاحب ثغر فارس سنة (12هـ/633م)[2].

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تذكر المصادر العديد من السفارات العربية التي أُرسلت إلى الأمم الأخرى إلى الفرس والبيزنطيين وغيرهم، فقد ذكر الطبري أن القائد عمرو بن العاص استقبل سفارة من صاحب الإسكندرية لمفاوضة المسلمين قبل دخولهم لها، وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب كتاباً إلى عمرو بن العاص يوصيه بالتزام الحذر في المفاوضات [3]كما أرسل عمرو أيضاً السفارات المقوقس زعيم القبط (20هـ/640م) وكانت برئاسة عبادة بن الصامت الأنصاري وانتهت بتوقيع الصلح مقابل دفع الجزية[4].

أما عن السفارات في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (35.23هـ) فقد شهدت بلاد المغرب تبادل السفارات بين المسلمين والروم البيزنطيين، بين عبدالله بن أبي السرح والي مصر وجرجير وهو

---

(1) الطبري, المصدر السابق,ج5,ص213

(2) المصدر نفسه,ج4,ص106

(3) ابن عبد الحكم, عبد الرحمن بن عبد الله, فتوح مصر وأخبارها , مكتبة مدبولي, القاهرة , ط2 ,1999 , ص59

(4) الطبري, المصدر السابق, ج4, ص216

حاكم شمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي لها، ففي سنة27هـ/647م التقى سفراء القائد عبدالله بن سعد بن أبي السرح مع سفراء جرجير[1]وكذلك كانت هناك سفارات بين القائد عبدالله بن سعد بن أبي السرح وقسطنطين إمبراطور ببيزنطة[2]، وقد شهدت سنة (28هـ /644م) حدثا كبيرا للسفراء العرب المسلمين الذين أجروا مفاوضات مع أهالي قبرص نتج عنها حصول المسلمين على الجزية دون قتال والسماح للمسلمين بالمرور وقتال الروم[3].

وفي السنة ذاتها أرسل المسلمون السفير أسد بن المتشمس سفيراً إلى أهل بلخ [4]وجرت مفاوضات انتهت بدفع أهل بلخ الجزية للمسلمين[5].

يتضح مما تقدم أن هذه كانت صورًا عن بعض السفارات التي بعث بها الخلفاء الراشدين اقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لتبليغ الدعوة ونشر الإسلام في أرجاء البلاد كافة.

الخاتمة

وننتهي بعد هذا البحث إلى عدد من النتائج من أهمها ما يلي:

1. لقد كان للسفراء دور بارز على مر العصور فكانوا من أهم وسائل التواصل، فالسفارة مثّلت أهم أدوات التعامل الدولي، وهي قديمة قدم

[1] الطبري ،المصدر السابق ج٢،ص١١٥

[6] ابن هشام, المصدر السابق , ج4, ص175.

[7] الطبري, المصدر السابق, ج4, ص312

[4] بلخ من مدن خرسان ينظر: الحموي , المصدر السابق, ج1 , ص480.

[5] اليعقوبي, أحمد بن يعقوب, تاريخ اليعقوبي , المكتبة المرتضويه, النجف,ج2, 1358هـ , ص154

الشعوب ذاتها، وهذا يدل على أن الأصل في العلاقات الدولية هو السلم.

2. وفي العصر الجاهلي كان للسفراء فضل كبير في حياة القبائل العربية وتعددت مجالات سعيهم حيث سار السفراء العرب يعقدون الأحلاف ويفتكون الأسرى ويسعون في إقرار السلم والأمن على أرض العرب.

3. في العصر الإسلامي ومند عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان للسفراء الدور البارز في نشر الإسلام ومبادئه وتعاليمه، وقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع السفارة بحكمة بالغة منظما تلك العلاقة لما يترتب عليها من مصالح، فبادل الأمم المراسلة والسفارة تثبيتا للتواصل فسمع منهم وأسمع الأمم والشعوب غايته، ووضح لهم رسالته ودعوته عن طريق سفرائه الذين أحسن اختيارهم، فقد أرسل السفراء إلى عموم الملوك والقبائل كل على ما يقتضيه الحال.

4. نهج الخلفاء الراشدون نهج الرسول الكريم في إرسال السفراء، ونلتمس كامل النجاح لهؤلاء السفراء والأسلوب الذي فاتح به الرسول الكريم والخلفاء من بعده الأقوام الآخرين.

5. لقد سبق المسلمون غيرهم من الأمم والشعوب في وضع شروط لاختيار السفراء أو الرسل؛ لأن السفير يعكس صورة أمته وثقافتها وحضارتها أينما توجه فهو ليس ممثلا لدولته فحسب؛ بل ممثلا لرسالة الإسلام فنجد النبي الكريم قد حرص كل الحرص على توافر صفات معينه في المبعوث أو السفير، وكذلك فعل الخلفاء من بعده وقد تميز السفراء في الإسلام بسعة الثقافة والفهم الدقيق للإسلام وبالإضافة إلى

ذلك نجدهم يتحلون بالصبر وحسن الخلق ويتمتعون بحسن الخطاب وحسن العرض، وتمكنوا بذلك من تحقيق أهدافهم التي جاءوا من أجلها.

6. لقد نجح سفراء الإسلام في تأدية مهامهم على أكمل وجه؛ فقد حققوا أهداف السفارة الإسلامية، وذلك بتعريف الأمم والشعوب بالدعوة الإسلامية والدين الإسلامي، ودعم العلاقات السلمية مع مختلف الشعوب لتسهيل المنافع وتأكيد التفاهم والتعاون لدفع عجلة الإنسانية نحو التقدم والازدهار.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. ابن الأثير ،عز الدين أبو الحسن علي بن محمد عبدالكريم الجزري، الكامل في التاريخ، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت،(د–ط)،1967
2. أسد الغابة، تح :علي محمد معوض وآخرين، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت ،لبنان (د– ت) .
3. الحموي، ياقوت ،معجم البلدان ، ج5،(د– ك)،(د– ت)
4. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، مختار الصحاح ، دار مكتبة الهلال، بيروت ، لبنان ، (د– ط)، 1988م
5. ابن سعد ، محمد بن سعد الطبقات الكبرى ، تح : إحسان عباس، ج2، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د– ط).

6. الطبري ،محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج3 ،دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى.

7. ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي ، العقد الفريد ، ج2، القاهرة،(د–ط).

8. ابن عبد الحكم ،عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط2 ، 1999م.

9. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج5 ، وزارة الثقافة والرشاد ، مصر ، (د– ط)(د– ت).

10– ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،لبنان ، 1991م .

11– ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية ، ج1، بيروت لبنان ،(د– ط) ،1966م.

12– ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد ، لسان العرب ، ج4، ط1 ، 1410هـ.

13– ابن هشام، أبو محمد بن عبدالملك، السيرة النبوية، تح، محمد بيومي، ج4، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، (د– ط) .

14– اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج2، المكتبة المرتضوية، النجف ، 1385هـ.

ثانيا: المراجع

1. المباركفوري ، صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، دار الوفاء ، مصر ، ط2 ، 2009م.

2- ضـميره ، عثمـان جمعـة ، السـفارة والسـفراء فـي الإسـلام، (د- ك)، (د- ط)، (د- ت).

3- نجـم جمـال أحمـد جميـل، أحكـام الرسـل والسـفراء فـي الفقـه الإسـلامي، نابلس ، فلسطين، (د- ط)، 2008م.

4- النبـراوي ، فتحيـة ، تطـور العلاقـات السياسـية الدوليـة ، مطبعـة الإسكندرية، القاهرة، (د- ط)، 1984م.

THE EMBASSY IS IN THE EARLY ISLAMIC ERA AND THE RIGHTLY GUIDED CALIPHATE

Zahra Ibrahim Al-Dhawi

Department of History

College of Arts

Al Asmarya Islamic University

Ibzahara59@gmail.com

Abstract :

The article aims to identify the most important characteristics of ambassadors in the era of the advent of Islam and their role as well as the embassy objectives

in Islam. The historical narrative approach was used to achieve the research goals. The findings indicate that since the Prophet Mohammed's time (may Allah bless him) Muslims used to choose their ambassadors among those who have the best personality، most intelligence، and eloquence. In addition، the ambassadors' role was to speak، negotiate and sign agreements and treaties on behalf of the president. Moreover، the study concluded that the Islamic state was not isolated and calls for coexistence with others through Islamic principles.

Keywords: ambassadors، the era of the advent of Islam، Rightly Guided Caliphate